نعرّبُ أو نترجم ؟

بقلم الاستاذ عباس محمود العقاد

مسألة الكلمات الاجنبية ، ولا سيما المصطلحات الخاصة ، مسألة قديمة حديثة ، لم يخل منها عصر من عصور اللغة العربية منذ نشأتها الاولى قبل تفرع اللغات السامية •

وحلّها كذلك حل قديم حديث لم يخل منه عصر قديم ولا حديث :

حلها التعريب والترجمة معا ، لا اختلاف بين عصر وعصر فيهما غير الاختلاف في المقدار او في النسبة بين الكلمات المعربة والكلمات المترجمة • فقد تزيد كلمات التعريب احيانا وتزيد كلمات الترجمة احيانا اخرى ، وتجري الزيادة في هذه او تلك على حسب العوامل النفسية قبل غيرها ، وأهمها عوامل الثقة بالنفس والاطمئنان الى سلامة اللغة وقلة الخوف عليها من طغيان اللغات الاخرى •

ففي عصر الجاهلية كان العرب يكثرون من التعريب ولا يتوقفون عن تعريب كلمة اعجمية صادفتهم في بلادهم او خارج بلادهم من شبه الجزيرة• فلو احصينا الكلمات المعربة في اللغة لزاد ما عربه الجاهليون عن نصف هذه الكلمات في جميع العصور ، اذ نحسب منه اسماء كثير من الجواهر والمواد ، ومن الادوات والنباتات ، ومن الابازير والعطور ، ومن الاكسية والمأكولات والمشروبات، ولا تقل عدتها عن الوف •

وقلما يخطر لنا اليوم ان نترجم اسم مدينة مشهورة ولو كان لهذا الاسم معنى ، وقلما يخطر لنا كذلك ان نترجم اسم انسان مشهور وان كان من الاسماء التي لها معان في اللغة كاسم جورج وميخائيل ومرجريت وفكتوريا ، وانما نعربها بالفاظها مع صقلها بالصيغة العربية •

وعلى هذا النحو كان ينظر العربي الى اسماء المواد والاشياء التي وجدت في غير بلاده ، فانه يعلم ان العربية هي لغة العرب وان اللغة تركيب وسياق وليست مفردات ومقاطع حروف ، وانما تسمى الاشياء باسمائها في بلادها وتعرف بتلك الاسماء كما تعرف اسماء الاعاجم التي تلقوها من آبائهم وامهاتهم بغير حاجة الى تعريب : كسرى وهرقل وسابور وفرعون وأشباه ذلك من الاسماء •••

ولعلهم لم يسألوا انفسهم قط عن معنى كلمة دينار او معنى كلمة قنطار ، ولو سألوا لعرفوا ان معنى الدينار « عشري » نسبة الى عشرة ، وان معنى القنطار « مئوي » نسبة الى مائة ، ولكنهم على هذا كانوا خليقين ان يعربوا الكلمتين ولا يترجموهما ، لان الترجمة لا تدل عليهما كما يدل التعريب •

ولم يكن تعريبهم مقصورا على ادوات المعيشة من اللوازم والضروريات، بل كان شاعرهم الاعشى يعرب آلات الطرب بألفاظها الاعجمية كما قال في وصف مجلس الغناء :

والناي نرم وبربط ذي غنة
والصنج يبكي شجوه ان يوضعا

فالناي نرم ، والبربط ، والصنج ، كلمات اعجمية بألفاظها عربها الشاعر ولم يترجمها ، وربما استطاع ان يترجمها بما يقاربها لو انه اراد •

وانما صنع العربي ذلك في عصور اللغة الاولى لثقته بلغته وخلو ذهنه من الخوف عليها من مزاحمة اللغات الاخرى ، ولعله لم يحسب قط انها « لغات » تقارن لغته لاعتقاده ان المتكلمين بها اعجام لا يفصحون •

هنا كانت نسبة التعريب اكبر من نسبة الترجمة ، وكان باعثه الطبيعي انه اقرب الى العادة المألوفة وانه شيء لا مانع له من الخوف على كيان اللغة ولا على مصيرها ، فما شعر العربي قط بتهديد لذلك المصير •

ثم انتشر العرب بعد الاسلام في بلاد العالم المعمور فاختلطوا بابناء اللغات الاجنبية في ديارهم وحادثوهم بالسنتهم او سمعوهم يتحدثون اليهم بلسان عربي تشوبه اللكنة الاعجمية والاخطاء الدخيلة على تراكيب اللغة وابنيتها وقواعدها المصطلح عليها ، فساورهم الخوف لاول مرة على سلامة اللغة في حاضرها ومصيرها ، وأخذوا في ضبط قواعدها وتدوين مفرداتها وتمييز قديمها من الدخيل عليها ، وتحفظوا في النقل اليها فرجحوا الترجمة على التعريب كلما تيسر نقل المعاني من اللغات الاخرى الى الالفاظ العربية ، ولكنهم قصروا هذا التحفظ على شؤون الدين والبيان ، ولم يلتزموه كثيرا في غير ذلك من الشؤون ، حتى شؤون العلم ومراسم الدولة •

(البقية على الصفحة ١٨)

نعرّب أو نترجم؟

(بقية المقال المنشور على الصفحة ٤)

فعربوا مثلا كلمة « الموسيقى » بلفظها اليوناني بغير تصرف ، وكان في وسعهم ان يسموها « فن النغم » .

وعربوا كلمة « الاصطرلاب » وكان في وسعهم ان يسموها « مقياس النجوم » او « مقياس الفلك » .

وعربوا كلمة « ايساغوجي » في المنطق وكان في وسعهم ان يسموها « المدخل » او « التمهيد » .

وعربوا « النوروز » وكان في وسعهم ان يسموه « اليوم الجديد » .

بل كان ابن سينا مثلا يعرب كلمة الـ « مانيا » بلفظها ولا مندوحة بترجمتها الى « الهوس » او «النزوة» او « الهاجسة » وما اليها ، لانهم حرصوا على تحديد المعنى العلمي بغير التباس بينه وبين الالفاظ التي تجري على السنة العامة والخاصة في البيوت والاسواق .

الا ان الحذر من التعريب لم يبلغ في اوائل العصر الاسلامي قط مثل ما بلغه في العصر الحديث منذ مائة سنة او نحو ذلك ، لان الحذر هنا قد عم واستفاض حتى شمل الحذر على كيان البلاد العربية في وجودها القومي وحياتها السياسية وعقائدها الدينية وسائر مقوماتها في حاضرها ومصيرها، وكلها من المقومات التي تتصل باللغة ولا تنفصل عنها .

في هذا العهد الاخير تجمعت على البلاد العربية اخطار الاستعمار وأخطار المذاهب الهدامة وأخطار الجهل والاستسهال ، فاشتدت دعوة المحافظة على القديم حتى بلغت غايتها من الشدة وأوشكت ان تخرج بالتطرف الى الافراط ، ثم آذنت بالتحول كما يتحول كل شيء بلغ الغاية من مداه ، واتفق في الوقت نفسه ان كفة الحرية رجحت على كفة الخضوع والمهانة ، فعادت الثقة الى النفوس وعادت معها قدرة التصرف دون مغالاة في الحذر او الاطمئنان .

كان خصوم التعريب في ابان الحذر على كيان الامة ينكرون ان تعرب كلمة « الهيدروجين » ويقترحون فيما اقترحوه ان تترجم بكلمة « المسيه » من اماه الشيء يسيهه اماهة — اي جعله ماء على هذا التصريف ، وفاتهم ان الكلمة اليونانية لم يضعها اليونان الاقدمون وانما استعارها الافرنج المحدثون للاصطلاح العلمي ، مع امكانهم ان يؤدوا معناها بلغاتهم الحديثة ، لولا اتقاء اللبس بين اسم العنصر وبين معنى الكلمة المطروقة على السنة الناس .

والذي نراه ان الحذر من التعريب كله يخف شيئا فشيئا على حسب نصيبنا من التقدم والثقة وحرية التصرف في جميع الاحوال ، ولكننا لا نريد ان نترك هذا الحذر مرة واحدة او نفتح ابواب التعريب على جميع المصاريع ، فانما الخير كل الخير ان تتحول عن الحذر من التعريب الى الحذر من الافراط في التعريب ، فلا نعرب من المصطلحات العلمية او الفنية الا ما كان من قبيل الاعلام التي لا تقبل الترجمة او قبيل الرموز التي تنحت منها الكلمات ولا تقبل النقل الى حروفنا العربية ، وهي كثيرة في علوم الطب والكيمياء على الخصوص ، قليلة فيما عداها من العلوم وان كانت قلة يحسب لها حسابها في جميع اللغات .

والنهج السوي ان نفضل الترجمة ما دامت مستطاعة سائغة ، فان تعذرت فلا حرج من التعريب على قدر الحاجة اليه ، بغير افراط ولا استرسال .

ولا غنى لنا عن ملاحظة التخصيص اللازم في مصطلحات العلوم والفنون ، فان الاصلاح يفقد معناه اذا وقع اللبس بين مدلوله ومدلول الكلمات الشائعة ، ولهذا يتجنب العلماء الكلمات المطروقة ويفضلون عليها الكلمات التي يمكن تخصيصها بمدلولها ولا تلتبس بسواها .

مثال ذلك عنصر البوتاس ، فانه في الانجليزية مأخوذ من كلمتي Pot-ash اي رماد القدر كما يدل عليه لفظه وتحضيره ، ولكن الانجليز يفضلون ان يطلقوا على هذا العنصر في لغة العلم كلمة « قليوم » Kalium وهي من اصلها العربي الذي يشمل القلويات .

اما الفرنسيون فهم يفضلون كلمة البوتاس والبوتاسيوم لان اللفظة لا توحي الى السامع الفرنسي شيئا عن رماد القدر في اللفظ المطروق .

ونحسب ان بداهة اللغة العربية من قديمها انى حديثها تملي علينا جواب هذا السؤال :

هل نترجم او نعرب او نكتفي بما عندنا فلا ترجمة ولا تعريب ؟

وجواب اللغة بلسان بداهتها الاصيلة ان المعاني تترجم ، وان الاعلام وما هو من قبيلها تعرب ، وان التعريب ضرورة ملازمة قد لازمت اللغة العربية منذ نشأتها ، ولا خوف عليها منه في حدوده الصالحة ، لان البنية الحية هي التي تستطيع ان تلحق بتركيبها المكين كل غذاء مفيد .